**كلِّية الآداب / قسم اللغة العربيِّة ـــــــــ أستاذ المادَّة : أ.م.د. قصي عدنان الحسيني**

**الأدب الأندلسي / المرحلة الثَّالثة/ مسائي/ـــــ 1436ـ1437هـ /2015ــ 2016م**

**المحاضرة الحادية عشْرة :**

**رسالة التَّوابع والزَّوابع لابن شُهَيد الأندلسي (382 ـ 426هـ)**

هو أبو عامر أحمد بن عبد الملك بن أحمد بن شُهيد الأندلسي(382ـ426هـ) ، أشجعي النسب من مضر من ولد الوضَّاح بن رزاح ، الذي كان مع الضحاك بن قيس الفهري في معركة مرج راهط سنة 65هـ ، فأُسْرته شاميَّة لجأت أيام الداخل إلى الأندلس حين وصل شُهَيد هارباً من بطش العباسيين ، ولد ابن شُهيد سنة 382 هـ ، في خلافة هشام ابن الحكم بن عبد الناصر في قرطبة .

رأى ابن شُهَيد النور في بيت عز ورفاه وترف ، فقد كان والده حاكم الجهة الشرقية من الأندلس (تدمير و بلنسيه) للحاجب المنصور تسعة أعوام ، واستوزر ابن شُهَيد في الدولة العامرية التي زال ملكها سنة 399 هـ ، لكنه لم يبلغ منزلة الكتابة في الديوان ، ولم يُلقّب **بـ(الوزير الكاتب)** ، وهو ما كان يسعى إليه ويتمناه .

ومن أبرز **صفاته** كما وصفه مؤرخ الأندلس ابن حيّان القرطبي (377ـ469هـ) في تاريخه (المُقْتبس من تاريخ الأندلس) رجل غلبت عليه البطالة ، فلم يحفل في آثارها بضياع دين ولا مروءة ...... ، فلم يقصّر عن مصيبة ، ولا ارتكاب قبيحة ، وكان مع ذلك من أصحِّ النّاس رأياً لمن استشاره ، وأضلّهم عنه في ذاته ، وأشدّهم جناية على حاله . . . ، وكان له في الكرم انهماك ، مع شرف وبطالة ، حتّى شارف الاملاق ، فمضى على هذا السّبيل ، واستمر ابن حيّان في وصف قدرات ابن شهيد وبراعته في علوم اللغة العربية ، فكانت البلاغة تجري على لسانه فيُتصَورُ لك : **(عبد الحميد في أوانه ، والجاحظ في زمانه ، والعجب منه أنه كان يدعو قريحته على ما شاء من نثره ونظمه في بديهته ورويته ، فيقود الكلام كما يريد ، من غير اقتناء للكتب ، ولا رسوخ في الأدب.....).**

**وزاد الحُميدي ت 488هـ ، صاحب (جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس)**  إلى أنه كان له من علم الطب نصيب وافر .

توفي ابن شُهيد سنة 426 هـ ، ودفن في مقبرة (أم سلمة) .

ولم تقتصر براعة ابن شهيد على الشعر بل تعدّت ذلك إلى النَّثر أيضا ، وذكر مترجموه أن له كتابين مفقودين هما : **(كشف الدَّك وآثار الشَّكِّ)** ، و **حانوت عطار** ، **ورسالة (التوابع والزوابع**) التي حفظ ابن بسّام الشّنتريني 542هـ ، أكثر فصولها في ذخيرته ، وله رسائل أخرى .

**ويمكن أن نُجمل أبرز خصائص نثره** **بالآتي :**

1 : تعدد أغراضه ، واتساع موضوعاته ، فقد كتب في الأمور السياسية والاجتماعية والأدبية ، وفي النَّقد والتاريخ .

2 : اتسامه بالفكاهة ، وميله إلى الهزل .

3 : سهولة الألفاظ ، ووضوح المعاني .

4 : سرعة البديهة ، وحضور الجواب مع حدَّته .

5 : البلاغة والفصاحة .

6 : السُّخرية اللاذعة التي تقربه من الجاحظ .

7 : قُصر الفقرات مع الحرص على المقابلة .

8 : غلبة الأسلوب القَصصي في كثير من رسائله .

9 : إيثاره المجاز على الحقيقة ، فكثُرت عنده الاستعارات والكنايات .

10 : اقتباس النُّصوص ، وترصيع إنشائه بها كالآيات الكريمة ، والأحاديث الشّريفة ، والأمثال والأشعار .

ولم يُعثر حتى الآن على نصٍّ كامل لرسالة **"التَّوابع والزَّوابع"** ، والفضل يعود إلى ابن بسّام في حفظ ما بقي منها ، ولم يُشر ابن شُهيد إلى تاريخ تأليف رسالته هذه ، إلّا أن النصوص التي وردت فيها تؤرخ في حدود 414 هـ ، فهي بذلك قد سبقت **(رسالة الغفران)** لأبي العلاء المعريّ (363ـ449هـ).

وكان **الغرض من تأليف هذه الرسالة** هو غرض شخصي بحت ، إذ كان لابن شُهيد خصوم وحسّاد كثيرون ، ناضلهم بشعره ونثره ، لكنه ظلَّ معتقداً أنه لم يتبوأ مكانته التي يستحقها ، ولازمه الشعور بالحيف وبمعاداة وكيد كثير من أدباء عصره ونقّاده ، فكتب هذه الرِّسالة ملتمساً نيل التَّقدير والتَّكريم لدى من يعتقد أنهم أكرم منزلة من معاصريه ، وأوفى قدراً من مناوئيه الذي يحيطون به ، فرسم صورة لجنِّي سمّاه **(زُهيراً**) رافقه إلى أرض الجنِّ ، حيث يلتقي هناك بتوابع الشعراء والكبار البارزين ، كما يلتقي بشياطين معاصريه ، ومن الشُّعراء الكبار الَّذين التقى بتوابعهم ذوي الأسماء الخيالية ، أمثال : أمرئ القيس وطرفة ، وقيس بن الخطيم ، والبحتري ، وأبي نواس والمتنبي ، ومن الكُتّاب : الجاحظ ، وعبد الحميد وبديع الزَّمان .

وهو في جميع مقابلاته مع هؤلاء يخرج منتصراً ، إما لاستحسانهم وإجازتهم لفنه ، أو لتفوقه عليهم في تلك المحادثات والمحاورات .

**التّوابع والزوابع لغةً واصطلاحاً :**

**ـ التَّوابع "لغةً" :** جمع تابع وتابعة ، ومعناها في المعاجم الجنّي أو الجنيّة ، اللذان يكونان مع الانسان يتبعانه حيثما ذهب .

**ـ والزوابع** **"لغةً" :** جمع زوبعة : اسم شيطان ، ويُكنَّى الإعصار أبا زوبعة حين يدوم ثُمَّ يرتفع إلى السّماء ساطعاً يُقال فيه : شيطان مارد ، كذلك يُطلق على رئيس الجن . (معجم العين للفراهيدي: مادة (تبع) والقاموس المحيط للفيروز آبادي :مادة (تبع) .

**اصطلاحاً ،** أطلقت تسمية "**التَّوابع والزَّوابع" :** على رسالة خيالية كتبها ابن شُهيد الأندلسي متصوراً نفسه في رحلة مع جنّي سمَّاه (زهير بن نُمير) يرحل به إلى أرض الجن حيث يلتقي هنالك بتوابع الشّعراء وزوابعهم ، وواضح من تسمية الرّسالة صلتها بالمعنى اللغوي مما وصل إلينا من هذه الرّسالة ، وهو مجموعة يدرجها الباحثون المحدثون ضمن الاطار القصصي ، ونستطيع أن نكوِّن فكرة عنها ، مفادها أن الشّاعر ـابن شُهيدـ افترض هذه الرِّحلة إلى عالم الجن ليقابل الشّعراء والكتّاب العرب ممن سبقوه ، ويجري المحاورات والمناظرات على لسان توابعهم فينتزع إعجابهم بعد أن يُسْمِعَهُم أمثلة من شعره .

**فصول الرسالة :**

إن هذا التقسيم سيكون وفق ما حفظه لنا ابن بسّام الشَّنتريني في ذخيرته ، لقد ساق ابن بسّام مقدمتها وسمّاها صدر الرّسالة ، ثُمَّ يُورِدُ بعدها أربعة فصول منها .

**المقدِّمة :** وهي **المدخل التعليلي لرحلة ابن شُهيد إلى عالم الجن،** فقد أورد على لسان أبي بكر بن حزم إعجابه ببراعته الشعرية على صِغَرِ سنِّه ، حيث عزاها إلى تابعة تُنْجِدهُ وزابعة تُؤَيدُهُ ؛ لأن تلك الشّاعرية ليست في قدرة الإنس !

ـ الفصل الأوَّل : يلتقي فيه الشّاعر بتوابع الشّعراء بعد أن يرحل معه على متن جواده كالطائر يجتاب الجو .......... .

ـ الفصل الثَّاني : يلتقي الشّاعر فيه بتوابع الكتّاب ويُسميهم الخطباء ........  
ـ الفصل الثَّالث : ينتقل ابن شُهيد مع تابعه إلى مجلس من مجالس الجن حيث يتذاكر معهم ما تعاورته الشعراء من المعاني .................

ـ الفصل الرَّابع : يتألف هذا الفصل من مشهدين ، الأول : لقاؤه بقطيع من حمر الجن وبغالهم ............ ، والمشهد الثاني : يقف ابن شُهيد على بِركة ماء فيتحدّثُ مع أوزّة بيضاء شهلاء .............. .

**مصادر الرّسالة :**

1ـ التراث العربي . 2 ـ معجزة الإسراء والمعراج .

**أهمية الرّسالة وقيمتها الأدبية :**

قال تحت عنوان **توابع الكتاب :**

( فقال لي زهير من تريد بعده ؟ فقلت : مِل بي إلى الخطباء ، فقد قضيت وطْراً ، فركضنا حيناً طاعنين في مطلع الشمس ، ولقينا فارسا أَسَرَّ إلى زهير ، وانجزع عنّا ، فقال لي زهير : جمعت لك خُطباء الجن بمرج دهمان ، وبيننا فرسخان ، فقد كفيت العناء إليهم على انفرادهم . قلت : لِمَ ذاك ؟ قال : للفرق بين كلامين اختلف فيه فتيان الجن .

وانتهينا إلى المرج فإذا بنادٍ عظيم قد جمع كل زعيم ، فصاح زهير : السلام على فرسان الكلام ، فردّوا ، وأشاروا بالنزول ، فأخرجوا حتى صرنا في مركز هالة مجلسهم ، والكل منهم ناظر إلى شيخ أصلع ، جاحظ العين اليمنى ، على رأسه قلنسوة بيضاء طويلة ، فقلت سرّاً لزهير : مَنْ ذلك ؟ قال : عُتبة بن أرقم صاحب الجاحظ ، وكنيته أبو عيينة ، قلت بأبي هو ، ليس رغبتي سواه ، وغير صاحب عبد الحميد ، فقال لي : إنه ذلك الشيخ الذي إلى جنبه ، . . . ، وقولي فيه ، فاستدعاني ، وأخذ في الكلام معي ، فَصَمَتَ أهل المجلس . فقال : إنّك لخطيب ، وحائك للكلام مُجيد ، لولا أنّك مُغرىً بالسجع ، فكلامُك نظمٌ لا شعر ) .